

أوراق و أسرار مجهولة من تاريخ سلطة البعث في العراق 2

داود البصري

- عدد مرات المشاهدة: 26

لتاريخ العراق المعاصر و أحداثه الساخنة نكهة خاصة رسمت علامات فارقة لمسيرة بلد لم يعرف الإستقرار طريقه إليه طيلة المراحل التاريخية الحساسة التي قطعت فيها شعوب الشرق الأوسط أطوار كبيرة في طريق التطور و التقدم ، فيما ظل العراقيون في حالة صراع سياسي و إنقسام إجتماعي و ظواهر سلبية عديدة أدت في المحصلة العامة لصعود الفاشية و لعسكرة المجتمع العراقي و لعودة القيم العشائرية و الطائفية البالية التي ودعتها الشعوب المتحررة لتستوطن في العراق فاتحة فيه كل مشاريع الجحيم و عذابات التخلف المقيم ، و تأتي مرحلة الستينيات التي أعقت فشل إنقلابيو 14 تموز 1958 بعد أن أطاحوا بالحكم الوطني الملكي و فتحو أبواب العراق و مسالكه لمغامرات العسكرتاريا الرثة و أهل المشاريع الانقلابية الفاشلة ، لتكون مرحلة جوهريّة في التأسيس الحقيقي لكل الكوارث المستقبلية بعد أن أصبحت هيئة الدولة و مؤسسة الحكم و السلطة نهبا مشاعا للبلطجية و (السرسرية) و الشقاوات الذين تمكنوا بفضل غباء الطبقة العسكرية العراقية و غرورها من الركوب على ظهرها و سرقة السلطة ثم القفز على الدولة و المجتمع ليؤسسوا نظاما فاشيا متوحشا عامرا بالصراعات و التصفيات البيئية فاتحين الطريق لضياح البلد و إعادة إحتلاله من جديد في سابقة لم تحصل مع أي دولة في التاريخ الدولي المعاصر .

بعد مصرع الرئيس عبد السلام محمد عارف إثر سقوط طائرته المروحية في شمال البصرة (النشوة) في نيسان عام 1966 تولى شقيقه الأكبر و نائب رئيس الأركان المرحوم عبد الرحمن محمد عارف رئاسة الجمهورية في ظل وضع حكومي ضعيف و سلطة مهترئة و صراعات سياسية حادة بين كبار العسكريين ، فيما كان حزب البعث جناح صدام حسين يتهيأ بإتصالاته الدولية و بتحركاته الخفية للإنقضاض على السلطة و إستلام الحكم ، و كان صدام حسين وقتها قد شرع فعلا بتشكيل جهاز سري غير جهاز (حنين) المعروف! ، و كان ذلك الجهاز من السرية المطلقة من الناحية التنظيمية بحيث أنه لا يوجد في الإرشيف التاريخي العراقي أية إشارة له و هو جهاز غير مرتبط بأي جهة معروفة بل أن السرية المطلقة هي طابعه العام و لا يعرف أي أحد عناصر ذلك الجهاز و لا كيف يتحركون ، وقد أشار قبل سنوات (1989) وزير الدفاع السوري الأسبق العماد مصطفى طلاس إلى إرتباط صدام حسين بالمخابرات الأميركية خلال إقامته في القاهرة أوائل الستينيات من القرن الماضي طبقا لمعلومات مصدرها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ، إلا أن الحقيقة التي أغفلها التاريخ تؤكد إن إرتباط صدام حسين بالمخابرات الأمريكية كان عن طريق خاله ووالد زوجته (خير الله طلفاح) الذي كان مرتبطا بدوره بالمخابرات البريطانية منذ عام 1941 وسبق لطفاح أن عمل في مقر السفارة البريطانية في بغداد منذ عام 1954 في دوام مسائي جزئي من الساعة السادسة إلى الثامنة مساءً و في أيام الإثنين و الأربعاء و الجمعة بصفة كاتب طابعة عربي! و كان يدخل للسفارة من الباب الخلفي مقابل نهر دجلة وهذا ما كشفه المرحوم حردان عبد الغفار التكريتي في إجتماع ضيق لمجلس قيادة الثورة حيث كان التكريتي و سعدون غيدان و حماد شهاب إضافة لأحمد حسن البكر هم أعضاء مجلس قيادة الثورة ، كان ذلك الإجتماع بتاريخ 25 أكتوبر/ تشرين أول عام 1968 عندما طرح الرئيس البكر إسم خير الله طلفاح لتولي منصب محافظ العاصمة بغداد و لم يكن صدام حسين وقتها عضوا لا في المجلس و لا في القيادة القطرية ، وحيث كان المجلس مكون من :

أحمد حسن البكر

صالح مهدي عماش

حردان عبد الغفار التكريتي

حماد شهاب التكريتي

سعدون غيدان

و أستمّر المجلس بهذه التشكيلة لغاية 30 أيلول / سبتمبر 1969 و إلى المؤتمر القطري السادس لحزب البعث و الذي دخل صدام فيه عضوية القيادة القطرية و بعدها تم إختيار جميع أعضاء القيادة القطرية كأعضاء في مجلس قيادة الثورة!! ، ولقد قاتل الفريق حردان التكريتي من أجل إبعاد خير الله طلفاح (خال صدام) عن منصب محافظ بغداد إلا أن الرئيس البكر أقنع حردان بأن التعيين مؤقت لتركيز الأمور و تثبيتها و بعدها سيتم إعفاء طلفاح من المنصب! إلا أن الأمور أخذت فيما بعد مسارا آخر!؟ ، و من الجدير ذكره هنا إلى أن إرتباطات العديد من قياديين نظام البعث الجديد بالمخابرات الدولية كانت من الأمور المعروفة و البديهية فبغداد كانت قاعدة رئيسية من قواعد الحلف المركزي و حتى إنقلاب 14 تموز 1958 كان مخترقا من المخابرات الأميركية التي كانت تعرف ساعة الصفر لذلك الإنقلاب الدموي ، فقد كان الضباط التالية أسماؤهم على علاقة وثيقة بالدوائر الإستخبارية وهم العميد عبد الوهاب الشواف ، و العقيد فاضل اللامي ، و العقيد فاضل العزاوي ، و الرائد إحسان مصطفى رشيد ، و غيرهم ، و جميع الحكام الذين تعاقبوا على حكم العراق كانوا مرتبطين بطرف و آخر بإستثناء اللواء عبد الكريم قاسم و الرئيس عبد الرحمن عارف الذي أسقط من السلطة بسبب الإتفاق النفطي المعروف الذي عقد بين شركة النفط الوطنية العراقية و شركة إيراب الفرنسية التي إختفت من الوجود بعد أن ورثتها شركة (توتال) الفرنسية !! ، فقد وقع العراق في شهر نوفمبر / تشرين الثاني من عام 1967 الإتفاق المشار إليه الأمر الذي حرك الدوائر الغربية للتحرك و الإجهاد على حكم عبد الرحمن عارف و تسليم السلطة في العراق لشلة جديدة من المغامرين الذين إختطوا طريقا جديدا للعراق تميز بالدم و الدموع و المصائب التي لم تنته فصولها حتى اللحظة .

كيف وصل البعثيون للسلطة عام 1968 ؟

دوائر الرصد الغربية كانت منذ البداية محدقة و مهيمنة على أركان السلطة في العراق و كان هناك شخصان لهما قصب السبق في إهتمام تلك الدوائر و هما معاون مدير الإستخبارات العسكرية وهي المؤسسة التي كانت تحكم العراق زمن الأخوين عارف المقدم عبد الرزاق النايف و كذلك أمر الحرس الجمهوري العقيد إبراهيم عبد الرحمن الداود اللذان خططا للإستيلاء على السلطة عبر القيام بإنقلاب قصر عسكري داخلي يطيح بالرئيس عبد الرحمن عارف و يأتي بقيادات عسكرية أخرى تحقق أهداف الشركات و المصالح النفطية العالمية في العراق و لكن حدثت مفاجأة قدر لها أن تغير تاريخ العراق بشكل حاد بعد أن

إكتشف البعثيون هذا التخطيط عن طريق ضابط في الإستخبارات العسكرية كان مقربا جدا من عبد الرزاق النايف و هو النقيب (أحمد سليمان العاني) المرتبط بشكل سري بحزب البعث و كان النايف يثق به ثقة مطلقة و عمياء لأنه يعتبره موضع سره و يده اليمنى في جهاز الإستخبارات العسكرية الذي كان يحكم العراق في فترة حكم الأخوين عارف ، و قد سرب النقيب أحمد سليمان العاني إلى قريبه و صهره الرفيق البعثي الموجود في المعتقل الأمريكي حاليا طاهر توفيق العاني مخطط الإنقلاب العسكري المنتظر فكان حزب البعث بتلك المصادفة التاريخية من المطلعين منذ البداية على خفايا ما كان يدور في الكواليس السرية الأمر الذي مكن البكر و جماعته في الجناح اليميني المعزول لحزب البعث من ركوب الموجة بعد أن تمكن من الضغط على قائد الإنقلاب تحت طائلة التهديد بإفشاء السر و دفعهم لمشاركة البعثيين في الإنقلاب القادم ، و يذكر أن حزب البعث كان يجري وقتها حوار موسع مع غريمه التاريخي الحزب الشيوعي العراقي لعقد تحالف يمهّد للقيام بحركة إنقلابية ضد نظام الرئيس عبد الرحمن عارف ، و كانت هناك نقاط إختلاف و إتفاق بين الحزبين لعل أهمها إصرار الشيوعيين على إنتزاع إعتراف من البعثيين بأن حركة 8 شباط الداموية عام 1963 كانت إنقلاب!! و رد الإعتبار للزعيم عبد الكريم قاسم و الإقرار بوطنيته!! ، و لما علم البعث بقرار النايف و الداود الإنقلابي الوشيك أوقف الحوار مع الحزب الشيوعي و أخذ بممارسة الضغط على النايف و الداود و على إشراف أحمد حسن البكر و صالح مهدي عماش و حردان عبد الغفار في حركة تغيير الحكم في العراق و أشترط النايف و الداود أن لا يكون حزب البعث موجود في الحكم و إبتعاد البكر و عماش خصوصا عن الحزب ، فوافقا على ذلك الشرط ، و كان الحزب يجري مباحثات و إتصالات مع أمر اللواء المدرع العاشر غير البعثي حماد شهاب التكريتي و المنتشرة قطعاته في معسكر الورا في الرمادي ، و كذلك مع سعدون غيدان أمر كتيبة الدبابات الأولى للحرس الجمهوري ، و كان كلا الطرفين يبني الغدر للطرف الآخر!! ووافق النايف على أن يكون أحمد حسن البكر رئيسا للجمهورية بعد أن أعد العدة و هيا جماعته للإنقضاض على البكر و جماعته ، و كان تاريخ الحركة الإنقلابية الجديدة على نظام الرئيس الغافل (عارف) قد حدد بيوم 13 تموز/ يوليو إلا أن البكر طلب التأجيل لهيئة لواء العميد حماد شهاب فهو فصيل الحسم بالنسبة للحزب ، لذلك فقد تم إرجاء الإنقلاب ليوم 17 تموز 1968 و كان الحزب على إطلاع تام على كل مخططات النايف و الداود عن طريق النقيب أحمد سليمان العاني و كان مخطط النايف بعد أن أجبر على إشراف البعثيين معه بالإنقلاب أن تتم تصفية البكر و جماعته يوم الثالث من شهر آب / أغسطس إلا أن البكر قد تغدى بالنايف قبل أن يتعشى به الأخير و يتخلص منهم يوم 30 تموز / يوليو ، و كانت خطة جماعة النايف و الداود هو قتل البكر و عماش و حردان في إجتماع مجلس قيادة الثورة يوم 3 آب بعد أن يتأخر كل من النايف و الداود عن الإجتماع و تدخل زمرة

التنفيذ لتتخلص من البكر وجماعته!! وقد أوكل تنفيذ العملية للجاسوس البعثي نفسه النقيب أحمد سليمان العاني الذي كان قد تم تعيينه كضابط إستخبارات للقصر الجمهوري!!! و ما كان الناييف يعلم أنه مكشوف بالكامل للبعثيين!! و عن طريق من هو مكلف بحمايته و موضع سره!! ، و في يوم 30 تموز 1968 قام البكر بدعوة الناييف لوليمة غداء على (لحم غزال) مشوي في القصر الجمهوري بعد أن طمأن النقيب أحمد العاني قائده و سيده عبد الرزاق الناييف بأن الأمور طبيعية و لا شيء يثير الريبة أو الشكوك!! و جاء الناييف بحماية كبيرة للقصر و دخل مكتب الرئيس البكر ، و في هذه الإثناء دخل صدام حسين (بلطجي الحزب) مع عشرة أشخاص مسلحين من (السرسرية) على البكر و الناييف و أعتقلوا الناييف بعد أن جردوا حمايته من الأسلحة فإنهار الناييف و أخذ يبكي و يتوسل بالبكر قائلاً له : أبو هيثم أحنأ بينا عهد!! فقال له البكر أنت من نقضه كما أنك تخطط لقتلنا يوم 3 آب القادم!! ، أما نحن فلن نقتلك بل سوف نرحلك فوراً للمغرب ، أما الداود فقد تم إعتقاله من قبل مجموعة من الضباط العراقيين في عمان في الأردن ثم أطلق سبيله ليلجأ للملكة العربية السعودية !! ، أما اللغز الأكبر فهو مصير جاسوس البعثيين النقيب أحمد سلمان العاني الذي إختفى من الوجود نهائياً إعتباراً من يوم 9 أيلول / سبتمبر 1968 حتى الرئيس البكر نفسه لم يكن يعرف عن مصيره شيئاً ؟ فقد كان مقرراً أن يسافر يوم 9 أيلول لألمانيا لإجراء عملية جراحية لزوجته التي كانت تعاني من تورم في الكبد فقد غادر القصر الجمهوري في الساعة السابعة صباحاً و كان يسكن في منطقة الدورة بينما كانت زوجته تنتظره في المطار و ترك المطار بصحبة السائق يونس حميد الذي أوصله للمطار ثم إختفى في المطار و لم تلتق به زوجته أبداً بل أن حتى صهره القيادي البعثي الكبير طاهر توفيق العاني لم يسأل عنه مطلقاً و أختفت آثاره من عالمنا نهائياً رغم أنه صاحب الفضل الأول في هيمنة عصابة البكر / صدام على السلطة في العراق !!!... و أعتقد أنه يمكن اليوم سؤال المعتقل القيادي طاهر توفيق العاني عن مصير صهره و قريبه ولكن المشكلة أنه لا يوجد في العراق الراهن من يعتم فعلاً بتاريخ العراق المعاصر بشكل جدي!! و يعتقد أن التنظيم السري الخاص بصدام قد عمد لخطفه و تصفيته و إسكاته نهائياً خشية تسرب المعلومات التي كان يعرفها عن كيفية وصول البعثيين للسلطة لتظل الحقائق مطمورة في لجة الفوضى و هو المصير الذي إنتهت إليه كل الأحداث و الملفات التاريخية الحساسة في العراق ! . ، فالذاكرة التاريخية المثقوبة للعراقيين هي مصيبة حقيقية لبلد و شعب عاش وسط الأزمات و ما زال مصدراً للعديد من الكوارث ؟ و الطريف أن البعثيين في تقريرهم السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لعام 1974 قد عكسوا بالكامل رواية إستلامهم للسلطة في تزوير فاضح للأحداث و التاريخ!!.

إنها لمحات سريعة لأسرار سلطوية لم يكشف عنها النقاب بعد بشكل توثيقي كامل إذ لا زال الغموض الشديد و المبهم يحيط بكل تفاصيل التاريخ العراقي القريب بأحداثه الدرامية المدهشة و التي جعلت من العراق وطن المصائب بإمتياز.....!

dawoodalbasri@hotmail.com